



نظرة عقائدية في طوفان الأقصى وحرب غزة

## وقراءة استراتيجية في مجراتها ومآلاتها

ما كان طوفان الأقصى وحرب غزة معركة استثنائية خاصة ضمن السياق السياسي والعسكري القائم المطبوع والمصبوغ بفلسفية ومعايير المنظومة الغربية العلمانية المادية وطبقا لقواعدها وحسباتها المادية الجافة اليابسة، بل كان انقلابا جذريا على المنظومة المادية وقواعدها المادية وزلزالا حضاريا حطم معايير المادة التي تتحكم في الشأن العالمي حربا وواعقا، ورجة عنيفة في قلب العمق الاستراتيجي للاستعمار الغربي المتمثل في كيان يهود قاعدة الغرب الاستراتيجية الكبرى في قلب بلاد المسلمين.

لقد كان طوفان الأقصى وحرب غزة انقلابا عقائديا في فلسفة الحرب ومفاهيم الحياة والموت، لقد كان زلزالا شديدا التدمير والهدم للأسس العلمانية المادية المهيمنة والمتتحكم في الرؤية العسكرية والسياسية لإدارة الحروب، لقد نصف المعيار المادي المعتمد والمument عليه في أسباب القوة المادية المطلوب توفيرها لإدارة الحرب.

فطوفان الأقصى وحرب غزة هو من تلك الخوارق التي تصنعها عقيدة الإسلام في النفس البشرية وصيغة تاريخ البشر، فعزم المجاهدين وجرأتهم وتحديهم في طلب عدوهم واقتحام أسواره ودك تحصيناته والنكبة قتلا وأسرا بضاربه وجنوده وقطعان مستعمرية، وهم قلة القلة ليس لهم من عتاد وعدة وموارد الجيوش معشار العشر، ثم بعد هذا حارق ثباتهم وصمودهم واستبسالهم المنقطع النظير لقرابة سبعة أشهر في مواجهة حلف صليبي صهيوني يده كل أسباب القوة المادية، بينما هم المحاصرون من كل أنظمة الخيانة والعار والمحرومون من كل مدد بل حتى من أسباب الحياة، ثم ذلك الصبر الرضي لذويهم العزل وهم المحاصرون المستهدفون بكل طائرة ومسيرة وصاروخ وقبلة وقديفة ورصاصة وهم في كل هذا أئمة المستضعفين وأكرم الأكرمين وأجود من جاد بالولد والأب والأم والزوج والأهل والمال والدار وما بخلوا على رحهم بشيء ولسان حالم في مناجاتكم لربكم: لك العتبى حتى ترضى وخذل من دمائنا حتى ترضى.

فطوفان الأقصى وحرب غزة هو ذوي الإيمان ولسان حال المؤمن بعقيدة الإسلام في بيع النفس لباريها طلباً لرضاها، فهذا العزم والتحدي والصمود والثبات والصبر هو اليقين العقائدي بأن العاقبة للمتقين وأن الله ولي المؤمنين وأن النصر صنيعة الله لأوليائه، وأن الثقة لامست بل ولابست ثقة الأنبياء بموعد رب العالمين. هي العقيدة الإسلامية أثمرت ينع جهادها وما كان عليه قطوفها إلا إزهاقاً للأرواح وبذلاً للأنفس والأموال والثمرات، وبيعت بها الفانية بالباقيه وأنجز أهلها عظيم صفقتهم مع رحيم **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَاةِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أُوفِيَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِمَا يَعْمَلُونَ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**.

هو اليقين العقائدي والإيمان الحق بأن سلاحك القاهر هو عقیدتك **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمِيتَ إِذْ رَمِيتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُسْلِمَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بِلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنٌ كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾**. هو التحرر من أغلال العلمانية المادية والتجرد من علائق الأرض ومادية الأسباب والتوكّل التام على رب الأسباب، هي البصيرة الكاملة وعين اليقين في آي الذكر الحكيم **﴿قَالَ الَّذِينَ يَظْلُمُونَ أَكْهَمُ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبْتُ فِتَّةً كَثِيرَةً يَادْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**.

فطوفان الأقصى وحرب غزة ليسا حدثاً استثنائياً من سياق وفي سياق، بل هما من خارج السياق العلماني المادي ومتجاوزين لمعاييره المادية، التي كرسها وفرضها الغرب كقواعد ومقاييس علمانية للفكر والسياسة والعسكرية، وبذل من أجلها جهوداً هائلة وأنفق في سبيلها أموالاً طائلة في حربه الحضارية ضد الإسلام وأهله مائة سنة خلت وزيادة، سعياً منه لتكريسهَا كقواعد ومقاييس حاكمة ومتحكمة للعقل المسلم كمقدمة لاستئصال عقيدة الإسلام من حياة وعقل وقلب المسلم لتحويله لكافر علماني يهيم على وجهه، ملتصق وملصق بالغرب العلماني فلسفة وحضارة، وهذا هو الغرب العلماني يختبر حقيقة الاصطدام العقائدي بجبروت العقيدة الإسلامية ويرى النزال الحضاري الذي تحدثه عقيدة الإسلام ومدى قوته لتصل صدمته الحضارية شعوب الغرب فتهتز أركان المنظومة العلمانية المادية في عقر دارها.

فهذه القوة العقائدية للأمة الإسلامية قضت مضاجع الغرب وأفرزت ساسته وأيقظت كل كوايس دوائر فكره وسياسته وعسكريته، ثم هذه القوة العقائدية في الأمة الإسلامية تتسع وتمدد وتتجذر وكل خشية وفرع الغرب من تركها، وهذا هو الشام كل الشام مع أرضه المباركة يغلي من شدة حرارتها بل قد بلغ مستوى الحرج؛ ما يفسر هذه الوحشية والهمجية والإبادة المنقطعة النظير سواء في مواجهة ثورة الشام المباركة أو في التصدي لجاهدي الأرض المباركة وغزة عزها.

لكن عقيدة الإسلام متى وجدت طريقها للعقول والقلوب صارت من أصحابها أمشاجاً ودماء وأنفاساً وبات في حكم المستحيل استئصالها وإنفاؤها، كيف ثم كيف بطاقة روحية ربانية جبارة أن تقهقرها خردة حديد من مادة الأرض، فقد تحطمت على صخرة عقيدة الإسلام الجبارة كل ترسانة الغرب العسكرية؛ طائراته، مسيراته، صواريخه، قنابله وقدائفه، وهذه القوة العقائدية والحالة العقائدية المتحفزة لاستعادة زمام القيادة والريادة لإسلامها العظيم هي كابوس الغرب المفزع الخانق، علماً أن هذه القوة العقائدية والحالة العقائدية تنمو بشكل متتابع حتى إنها تطرق أبواب الغرب بقوة قاهرة، أما بين أمتها الإسلامية وأبنائها فهي تتكشف لتتركز في دولتها؛ خلافة إسلامها لجسم الحرب الحضارية إلى الأبد، فالغرب يخوض معنا حربه الوجودية ولا يرى سبيلاً لبقاءه بعد فشله وإفلاته الحضاري وهزيمته الفكرية والثقافية المدوية أمام إسلامنا العظيم إلا بإبادتنا واستئصالنا كبشر.

يقابل هذا الفزع الغري من هذه القوة العقائدية مخاض عظيم الكرب شديد الألم ملياد جديد للأمة الإسلامية، وهذه القوة العقائدية يرى فيها الغرب موته وفناءه ومجاهتها بكل همجيته ووحشيته، وترى فيها الأمة الإسلامية ميلادها وحياتها ويبلي فيها أبناؤها عظيم بلائهم وخارق تضحياتهم. وهذه الأمة ترى في كل معركة طاحنة مع الغرب حرباً مع إيمانها وإسلامها فهي لا تفزع ولا تخزع ولا تخشى طائرات الغرب ومسيراته ومدافعته ودباباته، فكل هدير قصف ودوي انفجار يرى فيه إيمانها نداء نبيها ﷺ «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» فتستجيب وهي تسمع جواب عمير بن الحمام الأنباري "جنة عرضها السماوات والأرض... بخ بخ" ثم يرمي بدنبياه وراء ظهره ويقذفها في بعض تمرات ثم يقاتل حتى يقتل.

هي قوة العقيدة الإسلامية وقد أخذت طريقها لعقل وقلب هذه الأمة وهي حتماً متوجهة إلى حياتها، وهذه الأمة ترى في كفاحها وجهادها العقائدي حياتها وحياة إسلامها العظيم، فهي لا تترخص من الضعف استكانةً لجاهلية الغرب بل ترى فيه آية قوة عقيدتها وأسوة بعظيمات أسلافها، هو عمرو بن الجموح رضي الله عنه أخرج القدم يقسم بالذى بعث محمد ﷺ بالحق ليطأته بعرجته الجنة اليوم فيقاتل حتى يقتل. هو أنس بن النضر رضي الله عنه يوم أحد يستقبل سيد الأنصار قائلًا يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، ثم صنع خارقة من خوارق عقيدة الإسلام حتى قال سعد "فما استطعت يا رسول الله ما صنع"، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو

طعنة برمج أو رمية بسهم ووخدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنائه، قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ﴾**. هي قوة العقيدة الإسلامية تصنع خارقتها من صبية أحداث فتجعل منهم آية في الرجلة والبطولة، بما غلاما حي الأنصار يوم بدر يقسم كل منهما لمن رأى الواحد منهما أبا جهل "لا يفارق سواده حتى يموت الأعجل منا" انتقاما لنبيهما **ﷺ** من شتيمة أبي جهل، فابتدرأه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه.

هي قوة العقيدة لا تترخص من القلة عجزا أمام العدو بل ترى فيه آية إيمانها ومؤته زمامها ومستقبل يرموك قوتها، هي مؤته وقادتها العظام من الصحابة الكرام زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم في ثلاثة آلاف من خوارق العقيدة الإسلامية من المؤمنين الصادقين وقد نزل لهم هرقل بمأرب في مائة ألف من الروم وحالفة مائة ألف من المستعربة المشركين، وهذا هو أميرهم عبد الله بن رواحة يخاطب جند الله المؤمنين "يا قوم، والله إن التي تكرون للتي خرجم تطلبون وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة، وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فإن يظهرنا الله به فربما فعل، وإن تكون الأخرى فهي الشهادة وليس بـ **بِشَّرِ الْمُنْزَلِينَ**"، ثم خاضوها ملحمة وآية من سجل إيمان المؤمنين وخارقة من خوارق عقيدة الإسلام العظيم.

هنا موازين السماء قد سحقت شطط الأرض وكفر الغرب، هنا الدنيا في حقارتها احتقرت من المؤمنين كما لم تختقر قط من بشر، هنا الإيمان في سموه وعلائه قد محق عقيم وسقيم فلسفات الأرض وعلمانية الغرب، فالحق والحق ما نؤمن به عشر المسلمين أننا نكافح ونقاتل بهذا الدين الذي أكرمنا الله به وجعلنا مسلمين واصطفانا للشهادة على العالمين، هي عقيدتنا الإسلامية وخارقة قوتنا وسلامنا الحارق **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾**.

وهذه العقيدة الإسلامية هي الأساس في زاوية النظر الاستراتيجية لمجارات حرب غزة وما لاتها، فاستراتيجيا طوفان الأقصى كان اختبارا حقيقيا لكيان يهود ولقاعدة الغرب الاستراتيجية في قلب بلاد المسلمين ويقاد يكون اختباره الحقيقي الأول، فمنذ زرع الكيان القاعدة لم يتعرض لزوال استراتيجي بحجم وقوة طوفان الأقصى، فقد طبخت للكيان القاعدة حروب مصطنعة لتركيزه وفرضه كواقع، تخللتها حالات تفلت جد نادرة "معركة الكرامة" ولكنها انفلاتات من داخل السياق والنسق السياسي والعسكري المفروض على المنطقة والإقليم. لكن طوفان الأقصى هو حالة استراتيجية فريدة في فلسفتها وما دتها وإنماها فهي من خارج السياق والنسق، بل هو استراتيجيا منافق ومعاد للنسق والسياق الغربي وهو صنيعة عدو وجودي يعتبر استراتيجيا العدو الأول والأخير للغرب هو صنيعة الإسلام، ما جعل من طوفان الأقصى تهديدا استراتيجيا وجوديا، وزاد من خطورته أن القوة التي تحدث الغرب في كيانه وقادته هي عصابة عقائدية مؤمنة قوتها أقل بكثير الكثير عددا وعدة من كتيبة في جيش، وهذه العصابة العقائدية المؤمنة أعدت ما استطاعت مع شح المستطاع وقسوة الحصار وشديد خيانة حكام الدار وتربيص ألد الأعداء، ثم توكلت وعزمت وأبرمت وأنجزت وأذهلت وزلزلت الكيان القاعدة وفضحت حقارته وعرت جبن وخور عساكرة.

وهذا الفعل الاستراتيجي العظيم أسس استراتيجيا للتصور المستقبلي للضربة القاتلة لإفقاء الكيان القاعدة، إن كان هذا فعل عصابة عقائدية مؤمنة فكيف بصنع عيش عقائدي من المؤمنين! كما أبان أن كلفة استئصال وإفقاء الكيان القاعدة أقل بكثير من كل التوقعات السابقة، وعرى الحقيقة الاستراتيجية الفاضحة أن حياة الكيان القاعدة من حياة أنظمة الطوق

الخائنة وأن المشكّلة الحقيقة ليست في الكيان الحقير بل هي في الطوق الخائن العميل، الذي يمنع حقيق الحرب (تحطيطاً وتحميلاً وجيوشاً) بل ويتواطأ ويتآمر، ما جلى الحقيقة الاستراتيجية الصادمة أن الحرب الحقيقة الأولى مع الكيان القاعدة تعني نهاية وإفناه، والأمر متوقف على كسر الطوق عبر إسقاط أنظمة الخيانة والعار لتحرير القرار السياسي والعسكري من قبضة الغرب.

كما أن طوفان الأقصى وحرب غزة أرسى استراتيجية للرعب الاستراتيجي الذي اختبره الكيان القاعدة وعاشه شعبه، والأخطر أنه صنيعة عصابة عقائدية مؤمنة فكيف يكون منسوب هذا الرعب ووقعه على الكيان والشعب حين الحرب المستقبلية مع الجيش العقائدي ودولته العقائدية؟! فهذا الرعب الاستراتيجي بات جزءاً من المعادلة الاستراتيجية فقد صار مصاحباً للكيان وكابوس عساكره وشعبه، ما يرفع منسوب الخوف والجبن المغموسة فيهما النفسيّة اليهودية.

كما أن المآلات الاستراتيجية والغايات العقائدية لا تقاد بعد الموتى وحجم الدمار بل بتحقيق الأهداف الكبرى للغاية العقائدية الاستراتيجية، وغایتنا العقائدية الكبرى هي تحررنا على أساس إسلامنا وبيان إسلامنا من قبضة الاستعمار الغربي وكيانه وأنظمته العميلة وقواعده واستعادة قرارنا السياسي والعسكري عبر الحكم بالإسلام وإقامة دولته، وطوفان الأقصى وحرب غزة كما ثورة الشام المباركة ففزة نوعية في مسار الأمة في اتخاذ العقيدة الإسلامية أساساً لفعلها وحركتها وسعياً جاداً لإعلاء كلمة الإسلام وخطوة كبيرة في طريق استئناف حياتنا الإسلامية وتحكيم شرع ربنا. فمع طوفان الأقصى وحرب غزة تمت إعادة القضية إلى حقيقتها الإسلامية من أنها قضية الإسلام وأمته وأن طريقة حلها هي باستئصال وإفناه الكيان القاعدة عن طريق الجهاد.

إلا أن هذه القوة العقائدية والاستراتيجية على قوة جبروتها هي قوة متشظية متبايرة في عصابات مؤمنة هنا وهناك، ويجب حتماً أن تتحول إلى قوة عقائدية مستجمعة كل قواها وأشراط نصرها وتمكينها من كونها قوة عصابات مؤمنة لقوة عقائدية استراتيجية في الدولة والأمة، ويتحول معها جهاد دفع العصابات المؤمنة المبتور من عدته وعتاده وجيوشه في الذود عن حياضها وأعراضها إلى جهاد طلب لدولة الإسلام وجيوشها في نشر الإسلام وردع وإرهاب أعدائه، ويعاد تصحيح المعادلة الاستراتيجية هي الحكم بالإسلام وإقامة دولته لترجمة حياة عقيدته وشريعته وإنجاز عدل ورحمة استراتيجيته في حمل دعوته وإنقاذ البشرية من جاهلية الغرب وإخراجها من فحمة ليل حضارته إلى هدي الإسلام ونور حضارته.

﴿إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

مناجي محمد